الأهرام

المصدر: الحياة

التاريخ: ١٠ اكتوبر ١٩٩٥

شعث لـ 'الحياة': الفارق بين اتفاقي القاهرة وطابا اننا على عتبة الدولة وان حلم اسرائيل الكبرى انتهى

□ غزة - من حسين حجازي:

■ عاقداً المقارنة بين الاستراتيجية التفاوضية الفلسطينية خلال المفاوضات التي قادها في القاهرة وبين مفاوضات طابا الأخيرة، تحدث الدكتور نبيل شعث لـ «الحياة» عن الظروف التي رافقت المفاوضات الأولى، وتلك التي رافقت المفاوضات الأخيرة في طابا. وقال في مستهل حديثه، ان الذين اعتقدوا بسهولة المفاوضات على غزة اكتشفوا في ما بعد انها كانت الاشرس والأصعب، لانها كانت التجربة الأولى، ولان الاسرائيليين كانوا دوماً يفاوضون تحت تاثير عقدة السابقة. وقارن بين الدوافع التي كانت تضغط على الجانبين الفلسطيني والاسرائيلي للتوصل الى الاتفاق الاخير، واضعاً موقفهما معاً، بان كلاً منهما كان يجابه نوعاً من المازق المشترك: الفلسطينيون لأنهم كانوا تحت تاثير الخوف من نيات اسرائيل بالمماطلة، وعقدة البقاء في غزة باعتبار ان هذه هي حدود التسوية، والاسرائيليون، لأنهم اكتشفوا ان الفلسطينيين هم الذين يستطيعون اعطاءهم الأمن والشعور بالاستقرار، ولمخاوف حزب العمل الأخرى ذات الصلة بالخريطة السياسية الاسرائيلية الداخلية.

ووصف شعث المفاوضات الأخيرة بانها معركة حقيقية، قائلاً ان المفاوض الفلسطيني حصل في الأسبوع الأخير منها على اكثر مما حصل عليه المفاوضون الفلسطينيون خلال ستة شهور. لكنه لم يخف مخاوفه من المرحلة المقبلة في التطبيق، والتي اعتبر انها ستحتاج الى مفاوضات جديدة ومتواصلة على نقاط عديدة في الاتفاق، بدات بموقف اسرائيل من التزامها بالافراج عن الاسيرات واعادة الانتشار، وحتى الكهرباء والمياه. وان كان يعتقد ان الاتفاق يضع الفلسطينيين على اعتاب الدولة، ويضع النهاية لحلم اسرائيل الكبرى.

● كيف تقارن بين تجربتي المفاوضات على اتفاق القاهرة واتفاق طابا الأخير؟

– عندما تفاوضنا على غزة وأريحا كان الكثير منا تحت تاثير انطباع ان اسرائيل تريد التخلص من غزة باي ثمن. وكان ثمة من يذكر دائماً بمقولة اسحق رابين التي غنى فيها لو تغرق غزة في البحر. ولكن لأنها لم تغرق في البحر، فقد بدا وكان الاسرائيليين مستعدون للتخلي عنها. وكان بعض الأطراف، استناداً الى هذا التحليل، يطرحون علينا السؤال: لماذا تفاوضون الاسرائيليين عليها وهم يريدون التخلص منها على اية حال. وكان هناك البعض الآخر الذي يقول: حسناً تفاوضوا على غزة ولكن لا تدفعوا ثمناً لها، لانها ستاتي مجاناً. ولكن في الحقيقة ان كل ذلك لم يكن صحيحاً. لأن ما حدث هو ان الاسرائيليين تفاوضوا على غزة بشكل صعب ومتصلب للغاية. أولاً لأنهم كانوا يخشون من انهم اذا تساهلوا في اي امر في هذه المفاوضات، فان هذا التساهل قد يصبح ذريعة او مبدا او سابقة يمكن ان يقيد هامش مناورتهم عند التفاوض فيما بعد على الضفة الغربية. وهم لم يريدوا اعطاءنا هذا التنازل. وثانياً لأنهم في ظل الاتفاق، اتفاق اوسلو بالطبع، كانوا يرون *ان هناك اشياء يجب التمسك بها الى الحل النهائي. وهذه الاشياء هي اوراق تفاوضية لا* يجب التخلي عنها في هذه المرحلة من تطبيق الاتفاق. ومن هذه الاوراق، المستوطنات والأمن والمياه، وحتى موضوع التخطيط الحضري، التي رأوا انه يجب عليهم عدم التفريط بها.

● ولكن دعني اقول لك الآن. ان قضية الأمن التي كانت المسالة الاصعب في التجربتين معاً، مفاوضات القاهرة وطابا. كانت للأسف في مفاوضاتنا حول غزة موضوعاً يكاد ان يكون جديداً تماماً بالنسبة اليهم، من حيث خبرة التفاوض حول الموضوع. كما كان هناك هاجس ينقل عليهم من الناحية النفسية وهذا يتمثل بالخيار الذي وجدوا انفسهم امامه، بان يوافقوا طوعاً وللمرة الأولى في تاريخهم، على تسليم ارض فلسطينية متاخمة لهم لقوات عسكرية فلسطينية، تمتلك بنادق ومدافع رشاشة، ومصفحات، حتى لو اسموا هذه القوات شرطة فلسطينية لانهم كانوا يعرفون مسبقاً ان الأمر يتعلق بالمقاتلين انفسهم الذين حاربوهم في لبنان والأردن وعلى جبهات اخرى. وهكذا، فان ما تفاوضنا حوله من موضوعات في القاهرة، كان يفتقر بعد الى اي تجربة. وهذه نقطة اختلاف جذرية ومهمة بين مفاوضات غزة ومفاوضات الضفة الغربية.ولهذا السبب اقول ان المفاوضات حول غزة كانت صعبة جداً ومعقدة، ولم تكن سهلة. لأنه كان فيها صعوبة التجربة الأولى. اضافة الى هذا كانت العلاقة الشخصية بين الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وبين رئيس الوزراء اسحق رابين وبيننا وبينهم بشكل عام ما تزال تفتقر تماماً الى اي مقدار من التواصل والصدقية. وهذا كان ناتجاً عن كراهية عميقة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

بين الطرفين بسبب الصراع الطويل بينهما. وهذا العامل الذي لعب بصورة سلبية خلال مفاوضات غزة. كان أقل وطأة على الأقل، في مفاوضات طابا على الضفة الغربية. ان لم نقل انه قد زال الى حد ما كاحد القيود التي كانت تظل مفاوضات الطرفين في القاهرة.

واذن فان التشدد في غزة كان لاستباق التفاوض حول الضفة الغربية. ولكن حول هذه المفاوضات، التي هي اصعب بنظر الاسرائيليين من غزة. كان هناك منذ البداية ثلاثة اعتبارات رئيسية على جدول اعمال الاستراتيجية التفاوضية الاسرائيلية. اولاً: ان الضفة الغربية هي ارض ذات قيمة دينية وتاريخية وايديولوجية لاسرائيل، وخصوصاً في قلبها، اي القدس وجوارها. وثانياً: ان الضفة الغربية هي الخزان الرئيسي للمياه التي تحتاجها اسرائيل. وثالثاً: ان أراضي الضفة الغربية ذات مساحة واسعة وكثافة سكانية محدودة، ٦ آلاف كيلومتر مربع يسكنها مليون واربعمئة الف. قياساً بقطاع غزة الذي مساحته ٣٦٠ كيلومتراً مربعاً وفيه مليون نسمة. وبالتالي فان الاسرائيلي حاولوا منذ البداية استثمار كل فرصة ممكنة لانشاء عشرات المستوطنات عليها، خصوصاً في الحزام المحيط بالقدس وشمالها، ثم في جنوب القدس في المنطقة الممتدة بين بيت لحم والخليل وهي المنطقة المسماة كفار عتصيون. وكذلك في الخليل ذاتها. والناظر الى مشروع آلون يلاحظ ان الاحزمة وخطوط الاس الدفاعية الاسرائيلية قد انشئت على جميع المرتفعات المشرفة على نهر الأردن، حيث كان الهاجس الاسرائيلي الأمني من الجهة الشرقية يشكل هاجساً حقيقياً. بينما غزة تفصلها عن مصر سيناء بكاملها. التي يوجد فيها نظام أمني متكامل. وكان هناك هاجس آخر يتعلق بالضفة الغربية الا وهو منطقة قلقيلية - طولكرم. حيث كان الاسرائيليون دوماً يخوفون انفسهم واجيالهم من هذه المنطقة، التي يقولون عنها انها «خاصرة اسرائيل». وطالما صوروا الامر وكان شخصاً واحداً بمدفع او بندقية قنص يستطيع ان يغلق طريق تل أبيب - حيفا. وبالتالي كان الاعتقاد بوجود استحالة ان يسلم الاسرائيليين هذه المنطقة. وقد ذكرني يوسي بيلين في لقاء جرى بيني وبينه اخيراً بهذا الموضوع، اذ قال لي: ان اسرائيل كان لديها دائماً مخاوف أمنية مزمنة ومبالغ فيها، وهي تضحك من نفسها بعد فترة من هذه المخاوف، اذ ان كل الفكر العسكري الاسرائيلي كان مركزاً بعد العام ١٩٦٧ حول ممري متلة والجدي في سيناء. ولكن - اضاف بيلين - من يذكر الآن متلة والجدي؟ وان معركة العراق وصواريخ صدام حسين أكدت للاسرائيليين ان حدود نهر الأردن ليست حدوداً قابلة لأن تحميهم وهكذا، بتغير الاستراتيجية الامنية الاسرائيلية لم تعد منطقة طولكرم - قلقيلية هي النقطة التي تخيفهم.

ولهذا الاعتبار فقد لاحظنا ان التشدد في كل ما يتعلق بمفاوضات طابا، كان يتعلق بالخليل، وان المشكلة الحقيقية التي واجهت المفاوضات على الضفة الغربية كانت تلك التي تتعلق بالضغوط حول الأرض والماء. وهو ما يعني ان اسرائيل في كل تفاوضها معنا حول الحل الانتقالي، كانت تفكر اساساً بالحل النهائي. ومن العجيب ان المناطق التي قالت اسرائيل ان من الصعب الانسحاب منها، لم تكن هي المناطق التي تهدد اسرائيل امنياً. ومنطقة قلقيلية وطولكرم، الخاصرة الهشة، والاستعداد لتوسيع منطقة اريحا الجغرافية، هي المثال على ذلك. بينما كان الاستعصاء حول الخليل، اي حول المنطقة المحيطة بقلب الضفة الغربية، وليس في هوامشها واطرافها. سواء بالقرب من خاصرة اسرائيل الداخلية أو بالقرب من الحدود الشرقية على نهر الأردن.

● اذن كان هناك نوع من المفاجأة التكتيكية في الموقف الاسرائيلي؟

- الى حد ما، اذ يبدو انهم مستعدون للتساهل بشان المناطق التي قالوا عنها انها امنية وحيث المستوطنات التي اقامها ليكود والتي قال رابين عنها انها سياسية وايديولوجية قد ظهر وكانه اكثر تشدداً حولها، والاستيطان في الخليل مثال على ذلك.

● لكن قيل في وقت سابق بأنه كان هناك نوع من الاختلاف في تقدير الموقف من المفاوضات داخل المعسكر الفلسطيني بين من يرغبون في استعجال التفاوض وبين من يفضلون التريث للوصول الى الاتفاق؟

- دعني اقول ان ذلك اصبح وراءنا الآن. وما حدث في مفاوضات طابا، هو ان المفاوض الفلسطيني حصل في الاسبوع الأخير، في اسبوع واحد، على ما يعادل كل الشهور السابقة من المفاوضات. ولكن بالرغم من التحليل السابق، اقول ان اسرائيل كانت في مفاوضات الضفة الغربية اما معضلة كبرى. وكذلك كنا نحن ايضاً. وبودي ان اشرح الآن هاتين المعضلتين المركبتين:

لقد كان الحل الذي قبلنا به في اتفاق اوسلو مبنياً على فلسفة المرحلية ولكن ايضاً وفي الوقت ذاته، وهذا ما يتجاهله الكثيرون، على نوع من الاطار المتوازي، اي امكانية التفاوض على الحل النهائي بالتوازي مع التفاوض على الحل الانتقالي. لكن الذي جرى هو ان اسرائيل تمسكت بفكرة التفاوض المتدرج والمتتالي، ورفضت التحرك باتجاه مفاوضات الوضع النهائي. وكانت الذريعة هي ان اي حديث عن الوضع النهائي الآن، سوف يخلق تياراً اسرائيلياً معارضاً، وانه ليس من المصلحة لكم ايها الفلسطينيون ان تخلقوا لنا صراعاً مع ليكود ومع المعارضة اليمينية الاسرائيلية قبل ان تصلوا الى الضفة الغربية. وهكذا، كان ثمة تخوف فلسطيني مشروع ومبرر من النوايا الاسرائيلية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

لكننا ايضا كنا نتخوف اكثر من تاخير الحل الانتقالى فى الضفة الغربية وكان لدينا

مبرر قوى للشك في نوايا اسرائيل من انها لا تقصد سوى غزة واريحا بهذا الحل. وكان يغذي مخاوفنا الشعار الذي طرحته المعارضة في مواجهتنا: «غزة اولا واخيرا»، والذي شكل، للأسف، عنصر ضغط على القيادة الفلسطينية وليس على اسرائيل. كما كان لدينا ايضا اسبابا اخرى تدفعنا الى الاستعجال، وهذه تتمثل في المخاوف التقلدية من اي تغييرات دولية واستراتيجية غير محسوبة قد تعطي اسرائيل فرصاً جديدة للتمترس وتغيير موقفها من العملية السلمية ككل، خصوصا ونحن في زمن المتغيرات السريعة والعجيبة، من انهيار الاتحاد السوفياتي الى حرب الخليج، وغيرها. باختصار، لقد كان هناك دائماً نوع من التخوف. من اننا اذا تاخرنا في الوصول فقد يحدث شيء ما ويصعب الأمور علينا. هذا عدا العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها المعارضة الفلسطينية، والتي عطلت عملياً مسيرة التفاوض حول الضفة الغربية سنة كاملة تقريباً، امتنع خلالها الاسرائيليون تماماً عن التفاوض حول المرحلة الانتقالية.

لكل هذه المخاوف كان هناك دافع مبرر وقوي، يحث الفلسطينيين على انهاء التفاوض والوصول باسرع وقت ممكن الى الضفة الغربية. ولكن اذا كانت هي مبررات المنطق الذي كان يقول بالاستعجال، الا انه بالمقابل كان هناك تخوف موازٍ من القبول باي اتفاق ذي كلفة عالية. وهذا هو الجانب الآخر من المعضلة التي واجهت الفلسطينيين في التفاوض مع الاسرائيليين في طابا. ذلك انه في تجربة التفاوض على غزة اتضح لنا ان ما يؤخذ على الطاولة يصبح حقيقة، وما يؤجل لمفاوضات لاحقة تماطل فيه اسرائيل. وهاك الامثلة: الممر الآمن. لم نستكمل كل اجراءاته فاجلت اسرائيل التفاوض عليه، وهي ما زالت تماطل فيه حتى الآن. وقضية توسيع منطقة اريحا. اتفقنا على التفاوض اللاحق لتوسيع منطقة اريحا. فظلت اسرائيل تماطل في هذه القضية حتى تمت اعادة التفاوض عليها في الاتفاق الأخير. وهكذا، كان قد بدا لنا واضحاً. ان فكرة القضمة شبراً شبراً يجب اعادة تعريفها. اي بدأنا ندرك بعد تجربة غزة، انه لا يجب علينا ان نترك القضايا معلقة أو مؤجلة. وهذا هو التفسير الوحيد للاصرار الفلسطيني على خوض المفاوضات خلال الأسبوع الأخير في طابا، كما لو انها معركة فعلاً بالسلاح الابيض، بحيث لا نسمح لاسرائيل الانطلاق الى مفاوضات الحل النهائي ولديها اوراق لا تستحقها. وهذا ما حاولنا في المفاوضات الأخيرة في طابا الدفاع عنه، أي عدم اعطاء الجانب الآخر مستندات يتكئ عليها في المفاوضات النهائية تجحف بحقوقنا في هذه المفاوضات. وقد كانت ذروة التصدي الفلسطيني لذلك، هي المعركة حول مصادرة اراضي القدس. التي اضطر الاسرائيليون للتراجع عنها.

اعتقد ان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الذي ادار المفاوضات بشراسة وبراعة، نجح الى حد كبير في ابراز هذا الهدف، وقبل ذلك نجح من الناحية التكتيكية في اقامة التوازن المطلوب في ادارة المفاوضات عند النقطة التي لم يستطع فيها الخصم ان يوظف لنفسه ورقة الوقت او الاستعجال. اما من الزاوية الاسرائيلية، فان اسحق رابين وحزب العمل كانوا هم ايضاً في حاجة ماسة لانجاز سريع في المفاوضات معنا. أولاً لأسباب حزبية، قبل الوصول الى الانتخابات الاسرائيلية في خريف العام ١٩٩٦. وثانياً لأنهم اكتشفوا ايضا ان حل المشكلة في غزة فقط لا يسوي كل مشكلاتهم. واستطيع ان اقول هنا، ان الاسهام الايجابي الرئيسي للاتفاق على غزة، في ما يتعلق بتسهيل المفاوضات على الضفة الغربية، كان يتمثل، بانه في الاتفاق على غزة. كان الاسرائيليون قد تعمدوا بمياه النهر. اقصد انهم استطاعوا تخطي واختراق الجدار النفسي بالاقتناع العملي بان امنهم واستقرارهم يعتمدان في النهاية على الفلسطينيين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وهي الواقع. ان إسرائيل كانت بحاجة الى الضغط علينا لكي تبدو انها غير مستعجلة، ليستطيع الحصول على تنازلات في الضفة الغربية تستبقيها الى المرحلة النهائية. لكن في الحقيقة، هي كانت الأكثر استعجالاً للتوصل الى هذا الاتفاق السريع للأسباب التي ذكرتها، أي لأن الحل الانتقالي والاتفاق عليه، كان بعد غزة، قد اصبح موضوعاً حاسماً ومصيرياً، لا لتحديد مصير حزب العمل في الانتخابات المقبلة فقط. ولكن لأسباب تتعلق أولاً بقضية الحل النهائي مع الفلسطينيين الذي بات الاسرائيليون يدركون انه من دونه لن يحصلوا على الاستقرار الحقيقي. وثانياً، لأن تصعيب التوصل الى الحل الانتقالي من جانب المفاوض الفلسطيني. لم يعد يخدم حكومة رابين، وانما اليمين المتطرف. وعند هذه المرحلة، بدأت اسرائيل تحث الخطى للوصول الى الاتفاق في طابا على الضفة الغربية من دون ان ننسى بالطبع العامل الآخر الذي لم يكن مرئياً، ولكن الاكثر أهمية، وهو رغبة اسرائيل في الاسراع بالتوصل الى الاتفاق معنا قبل انعقاد مؤتمر عمان وذلك للظهور في هذا المؤتمر وكأنها اعطت التنازلات من جانبها في قضية الأرض، وبالتالي، دعوة العالم العربي للموافقة على تطبيع العلاقات معها.

● الآن وقد توصلتم الى هذا الاتفاق بالفعل، كيف يمكن قراءة هذا الاتفاق فلسطينياً؟ هل انتم راضون عنه؟ هل هو انجاز كبير مثلاً؟

– بعد هذه المعركة التفاوضية الكبيرة التي خاضها الوفد الفلسطيني في طابا من اجل الوصول الى استعادة السلطة الفلسطينية على الضفة الغربية نحن الآن نتصارع مع مشكلة التطبيق. والحق ان هذا الاتفاق اكثر من الاتفاق السابق (القاهرة) يرتهن خصوصاً بنجاحنا نحن والاسرائيليين في تحقيق ما يسميه الرئيس عرفات بالتطبيق الأمين والدقيق له على الأرض. بالطبع يترك هذا الاتفاق جزءاً مهماً من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية لثلاث مراحل من اعادة الانتشار اللاحقة. كما يترك مشكلات في مدينة الخليل، بل ان بعض مشكلاته بدأت قبل التطبيق، مثل قضية الافراج عن الاسيرات والأسرى الفلسطينيين، وجدولة اعادة الانتشار، وفي بعض مشكلات التطبيق الأخرى مثل الكهرباء والمياه: ولا شك ان هناك مشكلات أخرى في التطبيق ستنشأ، خصوصاً في تعريف المنطقة «ب»، وحدود صلاحياتنا فيها، والمرور الآمن بين المدن والقرى، وفي مدى التزام اسرائيل بعدم توسيع المستوطنات، وعدم تغيير الوضع في القدس، وفي احراز تقدم في مسألة عودة النازحين. اضافه الى تطبيق ما لم تقم اسرائيل بتطبيقه في المرحلة الماضية، واقصد هنا فتح الممر الآمن بين غزة والضفة وانهاء الاغلاق والسجن المفروض على غزة، وفتح المعابر مع الاردن ومصر، اي باختصار الاقلاع عن سياسة الهيمنة على الاقتصاد الفلسطيني. كل هذه مسائل مهمة وكبيرة وتطبيقها يحتاج الى مفاوضات جديدة ومتواصلة، خطوة بعد خطوة، كما سيحتاج الى آليات جديدة ومحترفة وواعية، ادارياً وسياسياً.

غير ان التقويم المنصف لهذا الاتفاق لا يمكنه ان يحجب الفوائد الاستراتيجية التي ينطوي عليها. فهذا الاتفاق يضعنا على طريق بناء الدولة الفلسطينية: كما يضعنا على طريق انهاء (فكرة) اسرائيل الكبرى، ونحن الآن نقترب من القدس، اقتراب الاسوارة من المعصم. ونحن نحقق تدريجاً استعادة الارض والحق على الجزء الاكبر من الأرض الفلسطينية التي احتلت في العام ١٩٦٧. وبالتأكيد، نخلق تجارب جديدة على الأرض، ونتعلم ونتطور. باختصار، نحن نسير في اتجاه التاريخ الذي لا مهرب لاسرائيل منه.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية